الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864
21 العدد الحادي والعشرون
ديسمبر 2021

هدايات سورة الكافرون

د. نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار *

nmsirdar@uqu.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2021/10/13م	تاريخ القبول: 2021/11/10م

ملخص:

يهدف البحث إلى تجلية فضائل (سورة الكافرون) التي اختصت بها، وكشف الستار عن حقيقة العبادة المطالب بها من قبل المشركين، وحقيقة العبادة الخالصة لله تعالى وحده. وقد اعتمد على الاستقراء والتتبع والتحليل والتفسير والاستنباط. وتم تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث، ونتائج. درس المبحث الأول: فضل السورة، وأسماءها، وسبب نزولها، وتطرق المبحث الثاني إلى موضوع السورة ومقاصدها، ومناسبتها، والمعنى الإجمالي، وتناول المبحث الثالث التناسق الموضوعي في السورة والإعجاز البياني والبلاغي، وهداياتها. وتوصل إلى أن لسورة الكافرون أسماء عديدة وأوصاف دقيقة، تدل على علو شأنها وفضلها، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة وحسبها أنها تعدل ربع القرآن، وكان سبب نزولها دعوة كفار قريش للنبي ﷺ بالتشارك في المعبودات، فنزلت هذه السورة براءة من الكفر بكل أنواعه، ودعوة لإخلاص العبادة، فخرجت بأبهى حلة من حيث اتساق الموضوع ووحدته، وروعة النظم ودقته، وبلاغة الديباجة، وإحكام المعنى ورصانته، فاشتملت السورة على قصرها وإيجازها على هدايات جليلة، مؤكدة عقيدة الولاء لله تعالى والبراء من الكفر، فالسورة محكمة لا نسخ فيها، لا تقر الكافرين على كفرهم بل تقطع مطامعهم في الميل إلى جانبهم.

الكلمات المفتاحية: (سورة الكافرون)، الهدايات، المناسبة، التناسق الموضوعي، الإعجاز.

* أستاذ التفسير المساعد - قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية.

DOI: 10.35696/1915-000-021-010

Guidance of *Surat Al-Kāfirūn*

Dr. Nawal Bint Mohemmad Bin Zahid Ali Sirdar*

nmsirdar@uqu.edu.sa

Received on: 13.10.2021 **Accepted on: 10.11.2021**

Abstract:

The research aims to clarify the virtues of *Surat Al-Kāfirūn*, and to unveil the reality of the worship demanded from the polytheists, and the reality of pure worship to Allah Almighty alone. It is based on induction, tracing, analysis, interpretation and deduction. It is divided into an introduction, three sections, and results. The first section discusses the virtue of the surah, its names, and the reason for its revelation. The second section touches on the subject of the surah, its purposes, its relevance, and its overall meaning .The third section deals with the textual consistency in the surah, its semantic and rhetorical miracles, and its guidance. It has been concluded that *Surat Al-Kāfirūn* has many names and precise descriptions, indicating its lofty status and its virtue. The reason for its revelation was the call by the disbelievers of Quraysh to the Prophet, peace and blessings be upon him, to share in deities. Therefore, this surah was revealed as a disavowal of unbelief in all its forms, and a call for sincerity of worship. The surah, despite its shortness and brevity, includes great guidance, emphasizing the belief of loyalty to Allah Almighty and disavowal of unbelief. The surah is precise in which there is no abrogation. It does not confirm the unbelievers in their disbelief, but rather cuts off their ambitions in inclining to their side.

Keywords: *Surat Al-Kāfirūn*, Guidance, Context, Textual consistency, Miracles

*Assistant Professor of Interpretation, Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

المقدمة:

الحمد لله المتفرد بألوهيته، المتعالي عن الأنداد والشركاء، والصلاة والسلام على النبي الداعي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أتم التسليم، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، أنزله فرقانًا بين الحق والضلال المبين، وردّ به تلبيس المشركين، وأعجز عن الإتيان بمثل بيانه المتقولين.

فقد جاءت سورة الكافرون فرقانًا عمليًا حاسمًا بين المشركين والمسلمين، فبينت حقيقة العبادة المأمور بها غاية التبيين، بما تضمنته من وجوه الإعجاز والبيان والبلاغة بإيجاز محكم رصين، فرسمت بذلك منهج القرآن الذي خطه للنبي ﷺ ولأمته من بعده في التعامل مع الكافرين الداعين إلى الإشراك في العبادة، مقررة عدم التنازل عن المبادئ العقدية الراسخة التي لا تقبل المساومة فيها، وبذلك تجلت أهمية دراسة هذه السورة، فكان عنوان البحث: (هدايات سورة الكافرون).

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية السورة من عدة وجوه:

- الفصل في معنى العبادة المأمور بها شرعًا، والتفريق بينها وبين عبادة الكفار التي خالطها الإشراك.
- تقريرها مع قصرها وإيجازها براءة النبي ﷺ من الشرك.
- تقريرها لأصل من أصول الاعتقاد الذي ينبني عليه سلامة المنهج، بإخلاص العبادة لله تعالى، والولاء له ولدينه والخلوص من الشرك، والبراءة من الكفر وأهله، والثبات على ذلك.
- خطت هذه السورة المنهج الرباني في التعامل مع الكفار والمشركين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، والرد عليهم.

ومن هنا كانت **أسباب الكتابة في هذا الموضوع** ما يأتي:

1- تجلية فضائل هذه السورة العظيمة التي اختصت بها.

2- كشف الستار عن حقيقة العبادة المُطالَب بها من قبل المشركين، وحقيقة العبادة الخالصة لله تعالى وحده.

3- إيضاح موقف النبي ﷺ من دعوى المشركين التي تندد بالمهادنة على سبيل الدين تحت مسمى التعايش السلمي.

4- إبراز ما تضمنته السورة من تقرير عقيدة الولاء لله تعالى ولدينه، والبراء من الكفر وأهله، في كل زمان ومكان.

5- بيان التناسق الموضوعي بين آياتها، والوحدة بين مدلول أولها وآخرها في عرض أعظم قضية عقدية واجهها النبي ﷺ في دعوته للمشركين في مكة، حسمت ما بين الإيمان والشرك بصورة قاطعة.

حدود الدراسة:

تناولت هذه الدراسة سورة الكافرون دراسة موضوعية تحليلية، دون غيرها من سور القرآن.

الدراسات السابقة:

اعتنى الباحثون بهذه السورة وتناولوها بالدراسة لكن من منظور بلاغي، ومن تلك الدراسات:

1-تبادل الضمائر في سورة الكافرون (دراسة تحليلية)، الباحثة: آلاء طارق آغا، وعائشة خضر أحمد، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، بحث منشور بمجلة التربية والعلم، مجلد (17)، العدد (4)، سنة 2010م.

التعليق: تتفق تلك الدراسة مع دراستي في عرض سبب النزول، وتحليل السورة وبيان معانيها، وإبراز دور التكرار فيها، وتفترق عن دراستي في التركيز التحليلي على جانب ورود الضمائر في السورة، وأثرها في المعنى.

2-سورة الكافرون (قراءة بلاغية)، الباحثة: أسماء سعود الخطاب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، بحث منشور بمجلة جامعة زاخو، المجلد (B1)، العدد (2)، سنة 2013م.

التعليق: تتفق تلك الدراسة مع دراستي من حيث بيان مكية السورة وسبب نزولها واستعراض معاني السورة، وتختلف عن دراستي في عرضها للمعاني بديباجة بلاغية، فركزت على إبراز الجانب البلاغي.

3-الإعجاز الصوتي في سورة الكافرون، الباحث: رافع عبد الله مالو، جامعة الموصل، كلية الآداب، وعزت عدنان أحمد، جامعة دهوك، كلية التربية، بحث منشور بمجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد (18)، العدد (2)، سنة 2011م.

التعليق: جاءت هذه الدراسة مختصرة جدا في (9) ورقات، وتتفق مع دراستي في عرض مكية السورة وسبب نزولها وجملة من مقاصد السورة بصورة موجزة، وركزت الدراسة على نواحي الإعجاز الصوتي في ألفاظ وجمل السورة.

4-سورة الكافرون: دراسة عقدية، الباحث: حسين عبد المجيد الزبيدي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، المكتبة المركزية.

التعليق: لم أتمكن من الاطلاع عليها.

وبالجملة فالفرق بين دراستي والدراسات السابقة يتمثل في: أن هذه الدراسة دراسةٌ تفسيرية تحليلية موضوعية، حيث تفردت ببيان فضائل السورة وأسمائها، مع بيان جوانب التناسق الموضوعي بين آياتها، واستنباط هداياتها. كما عرضت لموضوع السورة ومقاصدها، ومعانيها- من وجهة نظر تفسيرية بيانية-، مع الإشارة إلى الإعجاز البياني البلاغي بما يخدم النص القرآني من الوجهة التفسيرية.

منهج الدراسة: اعتمدت الباحثة منهجين:

1-منهج التتبع والاستقراء لما كتب في سورة الكافرون، والجمع للمعلومات.

2-منهج التحليل والدراسة والاستنباط.

خطة الدراسة: جاءت خطة الدراسة في ثلاثة مباحث، يسبقها مقدمة، ومذيلة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج، على النحو الآتي:

المبحث الأول: فضل السورة، وأسماؤها، وسبب نزولها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل السورة.

المطلب الثاني: أسماء السورة.

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

المبحث الثاني: موضوع السورة ومقاصدها، ومناسبتها، والمعنى الإجمالي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موضوع السورة ومقاصدها.

المطلب الثاني: مناسبة السورة.

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي في السورة والإعجاز البياني والبلاغي، وهداياتها. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناسق الموضوعي في السورة.

المطلب الثاني: الإعجاز البياني والبلاغي.

المطلب الثالث: هدايات السورة.

السورة المدروسة:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠
عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون: 1-6].

وستتم دراستها على النحو الآتي:

الآداب مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864
21 العدد الحادي والعشرون
ديسمبر 2021

المبحث الأول: فضل السورة، وأسماؤها، وسبب نزولها

إن (سورة الكافرون) سورة عظيمة، ورد في فضلها أحاديث عديدة، ولها أسماء كثيرة ذكرها المفسرون في كتبهم، وفي ذلك دلالة على شرفها وعلو شأنها، وهي مكية النزول.

المطلب الأول: فضل السورة

1- تعدل ربع القرآن، للحديث: "أنّ رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: هل تزوجت يا فلان؟، قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]؟ قال: بلى، قال: ثُلث القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: 1]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:1]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[1].

2- وفي رواية: "﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:1]، تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:1]، تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:1]، تعدل ربع القرآن"[2]. ووجه ذلك: أنها اشتملت على النهي عن الشرك، وهذا جانب متعلق بأعمال القلوب، وهو يمثل ربع القرآن، ذلك أن القرآن يتضمن الأمر والنهي، وكل منهما ينقسم إلى قسمين: ما يتعلق بجانب القلوب، وما يتعلق بجانب الجوارح، فتلك أربعة أقسام[3].

3- كان النبي ﷺ يقرأ بها في سنة صلاة الفجر، للحديث: "أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:1]"[4]؛ ولعل الحكمة في ذلك كون مدارهما على الإخلاص في التوحيد والبراءة من الشرك، ومن كان شأنه ذلك كان جديرًا بنيل ما أشير إليه في هاتين السورتين من الفتح والنصرة له، والخيبة والخُسر لعدوه[5].

4- كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاة الوتر، للحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:1]، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:1]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]، ثم يقول إذا سلّم: سبحان الملك القدوس ثلاثًا، ويرفع صوته بالثالثة"[6].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل، والوتر خاتمته، ولذلك كان النبي ﷺ يصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد"(7).

5- كان النبي ﷺ يقرأ بها في سنة صلاة المغرب، للحديث: "رمقت رسول الله ﷺ عشرين مرةً، يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل الفجر، كان يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون: 1]، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: 1]"(8). ولعل الحكمة من ذلك: افتتاح العمل في الصباح بهما، وافتتاح العمل في الليل بهما، لما فيهما من التوحيد والإخلاص -والله أعلم-.

6- كان النبي ﷺ يقرأ بها في ركعتي الطواف، التي شرفت حالًا ومكانًا، للحديث: "أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بسورتي ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:1]، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:1]"(9)؛ لما اشتملتا عليه من الإخلاص لله تعالى(10).

7- يتحصل بقراءتها البراءة من الشرك، حيث أوصى النبي ﷺ بذلك، فقال: "إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون: 1]، ثم نم على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك"(11). ومعنى هذا: أنها بما تضمنته من نفي الشرك بأنواعه بأبلغ العبارات وآكدها، فقد دلت على التوحيد وصحة عقيدة صاحبها، فيتحقق له السلامة من الشرك(12).

8- أوصى النبي ﷺ بقراءتها قبل النوم، فقال ﷺ لنوفل رضي الله عنه: "إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:1]، ثم نم على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك"(13)، ليحصل لقارئها البراءة من الشرك فيختم له من ليلته على التوحيد.

9- يحصل بقراءتها الغيظ لإبليس، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في القرآن أشد غيظًا لإبليس -لعنه الله- من هذه السورة؛ لأنها توحيد، وبراءة من الشرك"(14).

المطلب الثاني: أسماء السورة

ذكر المفسرون أسماء عديدة لسورة الكافرون، وبالتتبع والحصر وُجِد أنها بلغت عشرة أسماء، وهي:

- سورة الكافرون: هكذا وردت في جميع المصاحف التي طُبعت قديمًا وحديثًا، وفي معظم كتب التفسير، بجعلها كلمة مركبة من لفظين، مع ثبوت واو الرفع في (الكافرون)؛ مشاكلة للفظ القرآن في أولها[15].
- سورة الكافرون: عُنونت هكذا في كتاب: الكشاف[16]، والمحرر الوجيز[17]، وحرز الأماني[18]، باعتبارها لفظًا مركبًا، مع الخفض بالياء (الكافرين)، فيكون المعنى: سورة ذكر الكافرين، أو سورة نداء الكافرين.
- سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1]: هكذا وردت في صحيح البخاري، في كتاب التفسير[19].

سبب هذه التسمية: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بمخاطبة الكفار، وبيان عقيدته الخالصة من الشرك[20].

وذكر البقاعي[21] في هذه التسمية وجهين:

الأول: إثبات خطاب الكافرين مع إرادة البعض ممن علم الله تعالى استمرارهم على الكفر حتى مماتهم، من باب ذكر الكل وإرادة البعض.

الثاني: نفي وقوع العبادة الخالصة المعتبر بها شرعا من جهة الكافرين تصريحًا لإنكارهم بوحدانية الله ووقوع الشرك منهم بعبادة الأصنام، ولزومًا لعلمهم بعجز معبوداتهم ونقصها وعدم قدرتها على النفع والضر.

- المَقَشْقِشة[22]: فسميت سورة الكافرون وسورة الإخلاص بـ(المَقَشْقِشتان)؛ لكونهما براءة من النفاق والكفر[23].

ذكر البقاعي[24] أن سبب هذه التسمية: مأخوذ من القَشّ، بمعنى الجمع طلبًا للمأكول من ههنا وههنا؛ فالسورة جمعت أصول الدين من حيث الأمر بالتوحيد والعبادة الخالصة لله تعالى وحده لا شريك له وإثباتها له على وجه التمام والكمال، واقتضت نفي جميع أنواع الكفر على وجه الجزم.

- سورة الإخلاص: وهذا اسم مشترك بينها وبين سورة الإخلاص؛ لكون مدارهما على الأمر بالإخلاص في التوحيد والعبادة[25].
- سورة العبادة: لكونها آمرة بإخلاص العبادة لله تعالى وحده، وترك عبادة ما سواه من المعبودات الباطلة[26].
- سورة الدِين: سُميت بذلك لورود قوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:6][27].
- البراءة: "سُميت بذلك لتضمنها البراءة من الكفر والنفاق"[28].
- (المشَقِّعة)[29].

10- "المنابذة: سُميت بذلك لما فيها من منابذة ومتاركة الكفر"[30].

المطلب الثالث: سبب نزول السورة

ورد في سبب نزولها: أنها نزلت في رهطٍ من قريش، قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنةً، ونعبد إلهك سنةً، فإن كان الذي جئت به خيرًا مما بأيدينا كُنا قد شَرَكْنَاك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما في يدك كنت قد شَرَكْتنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال ﷺ: (معاذ الله أن أشرك به غيره)، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:1]، إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه ﷺ عند ذلك[31]. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه، وعليه فهي مكية النزول[32]، إلا ما ذكره السيوطي: عن ابن الزبير رضي الله عنه قال: أُنزلت بالمدينة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:1][33]. وقال ابن عاشور: "وهي مكية بالاتفاق في حكاية ابن عطية وابن كثير، ورُوي عن ابن الزبير رضي الله عنه: أنها مدنية"[34].

المبحث الثاني: موضوع السورة ومقاصدها، ومناسبتها، والمعنى الإجمالي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موضوع السورة ومقاصدها

السورة براءة من الشرك ومن عمل المشركين، والإخلاص في التوحيد والعبادة لله تعالى، فحسمت القضية بين الإيمان والكفر، وبين أهل الإيمان وأهل الشرك، فحينما طلب المشركون المهادنة من رسول الله ﷺ، وأن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، نزلت السورة حازمة جازمة بقطع مطامعهم إلى الأبد[35].

وبهذا يُعلم الغرض من هذه السورة: وهو تأييس الكفار من أن يُوافقهم المؤمنون في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد فلا شراكة بينهم في العبادة لا في الحال ولا في المستقبل، وأنَّ دين الإسلام لا يُخالطه شيء من الشرك[36].

وللسورة مقاصد جليلة يمكن إيجازها فيما يأتي:

1- حرص الدين على استعمال لغة الحوار، بغية تصحيح العقائد الباطلة، بالحجج والبراهين القاطعة.
2- التأكيد على أن دين الإسلام هو الدين الحق، الذي لا يقبل المساومة والمهادنة على سبيل الدين مهما تعرض للهجمات والكيد من المعادين.
3- التأكيد على بطلان عقيدة الكفار على تنوعها واختلافها.
4- بيان طبيعة النبي ﷺ في التعامل مع الكفار بالصدق والثبات، وطبيعة الكفار المراوغة، وضعف إيمانهم بعقيدتهم برغم إصرارهم عليها استكبارًا وعلوًا.
5- الإسلام دين الحرية، ولا إكراه في الدين، مع الإقرار بضلال من اعتقد بغيره[37].

المطلب الثاني: مناسبة السورة

أولًا: المناسبة بين سورة الكافرون وسورة الكوثر

لمّا أمر الله نبيه ﷺ في سورة الكوثر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، جاء التصريح في هذه السورة باستقلال عبادته ﷺ عن عبادة الكفار، وبراءته ﷺ من الشرك، على وجه التأكيد، والفصل ما بين الإيمان والكفر[38].

ثانيًا: المناسبة بين سورة الكافرون وسورة النصر

لمّا دلت سورة الكافرون على لزوم إعلان المتاركة للكفار ودينهم وما صار إليه حالهم من عدم الاعتبار بهم وعدم الخوف منهم، جاءت البشارة للمؤمنين بإمكانية النصر عليهم والظفر بهم في سورة النصر، والنذارة للكفار بالهزيمة والتقهقر(39).

ثالثًا: المناسبة بين سورة الكافرون وسورة الفاتحة وسور القرآن وتأخر ترتيبها بالمصحف

لمّا اشتمل القرآن الكريم المعجز المبين على بيان أحوال الناس وطرائقهم، ومآلهم إلى فريقين: فريق المؤمنين الطائعين، وفريق الكافرين المعاندين، وبيّن ذلك في أول سورة مكتوبة فيه (الفاتحة) على سبيل الإجمال بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: 5]، وفي قوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 6]، وعلى سبيل التفصيل في آ ي القرآن وسوره إلى نهاية سورة الكوثر، فلما انتهى من تسجيل مواقفهم، اتبعه بالفصل الحاسم فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1]، وقضى بين الفريقين بشكل نهائي، فمن كفر واستمر على كفره فلا طريق له إلا الهلاك، وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ، ولذلك جاء التصريح: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: 2-6]. فتبين بذلك مآل كل فريق، وصدح الحق واندحر الضلال، وبذلك يتضح أن تأخير هذه السورة إنما كان خاتمة لما سجله القرآن من المواقف بين الحق والباطل وبين المؤمنين والكافرين، وتأكيدًا لعاقبة كل فريق، بشكل قاطع لا مجال فيه للجدال والمهادنة -والله أعلم(40).

رابعًا: المناسبة بين أول السورة وآخرها

لما افتتح السورة بمخاطبة الكافرين وصرح لهم بنفي عبادة النبي ﷺ لمعبوداتهم ونفي عبادتهم لله تعالى، واستحالة الالتقاء فيما بينهم بحال من الأحوال للاختلاف الكبير بينه ﷺ وبينهم من حيث اختلاف المعبود واختلاف العبادة، ختم السورة بما يؤكد ذلك فأعلن تبرؤه ﷺ من عبادة معبوداتهم ومتاركته لهم على وجه الجزم وقطع الآمال في الميل إلى جانبهم، فجاء آخر السورة خلاصةً لأولها وتأكيدًا، -والله أعلم-.

الآداب مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864
21 العدد الحادي والعشرون
ديسمبر 2021

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي

لما كانت هذه السورة نقطة التحول في الخطاب من اللين والرفق إلى الشدة والغلظة، ولما كانت منطلق الجهر بالبراءة من الكفر بكل أنواعه وأشكاله، ولما كانت دعامة الفصل بين الحق والباطل، وما يتطلبه ذلك من الشجاعة في مواجهة الكفار والحضور القوي، بثقة وثبات ويقين، لعرض قضيته ﷺ وموقفه بكل صراحة، جاء الخطاب بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾، كونه خطابًا من الله تعالى مأمورًا بتبليغه، وليس من عنده ﷺ، ليضفي عليه سمة العلوية والفوقية؛ ليزيده قوةً وثباتًا، فقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾:

- ﴿قُلۡ﴾: القول: كل لفظ مَذَل به اللسان، تامًا كان أو ناقصًا، والجمع أقوال، وجمع الجمع أقاويل، وقال يقول قولًا فهو قائل [41]. واللفظة هنا في موضع جزم على حذف اللام، وعند البصريين غير معرب باعتباره فعل أمر مبني[42]. وفائدة ورود كلمة ﴿قُلۡ﴾ هنا:

أولًا: رفع الحرج عن النبي ﷺ؛ لأنه كان مأمورًا باللين والرفق في الخطاب، فلما كان الخطاب هاهنا فيه من الغلظة والشدة والتصريح، بيّن أنه مأمور به وليس من عند نفسه[43].

ثانيًا: الاهتمام بما بعد لفظ القول، كونه كلامًا مأمورًا بتبليغه بوجه خاص بنصه المنزل المعجز[44].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا) حرف نداء، وضُمّت (أيُّ)؛ لأنه منادى مفرد[45]، و(ها) حرف تنبيه مقحم بين المنادى وصفته)[46]. و(الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ جاء للمبالغة في طلب إقبالهم لئلا يفوتهم شيء مما يلقى إليهم)[47].

- ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: "نعت لأي أو عطف البيان"[48]، وفي وصف المنادى بلفظ (الكفر) إقامة للحجة على بطلان معتقدهم، وتأييدًا لوجه التبرؤ منهم؛ لدلالة اللفظ بمنطوقه على معنى الجحود وكفران النعمة، وما تقتضيه من كونهم (أنعم عليهم بنعم) فجحدوها[49]، وفي خطابهم بهذا الوصف توبيخ لهم وتشنيع لفعلهم ومقولتهم[50]، وإشعار بأنه ﷺ لا يخشاهم إذ وصفهم بهذا الوصف؛ لأن الله تعالى كفاه إياهم وعصمه من أذاهم[51]. والألف واللام فيها

لجنس الكافرين عمومًا، لكن اللفظة هنا من الخطاب العام الذي يراد به الخاص، حيث جاء الخطاب خاصًا لمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره ممن ورد أنهم سبب في نزول السورة؛ لأن من الكفار عند نزول هذه الآية من أسلم وعَبَدَ الله سبحانه[52]، وعليه فإن ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ هم: كفرة مخصوصون، قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وهم زعماء الشرك في مكة[53]. وفيه دلالة على صدق نبوة النبي ﷺ؛ لأن كل من خاطبهم بهذا الخطاب لم يُسلم منهم أحد حتى مماتهم[54]. ويمكن أن تكون الآية باقية على عمومها في كل كافر على وجه الأرض[55] يفعل فعلهم؛ كونه موقفًا متجدد الحدوث في كل زمان ومكان، -والله أعلم-.

ولما ثبت وصفهم بالكفر وتحقق بذلك بطلان معتقدهم، كان لا بد أن يكون من أولى أولويات النبي ﷺ أن يجهر بالبراءة من الشرك والكفر والنفاق، لكون مناط الحوار وسبب النزول دائر على مسألة العبادة، فوجب إيضاح موقفه ﷺ بكل صراحة وقوة مع إضفاء سمة الفوقية كونه خطابا مكلفا بتبليغه من رب العالمين فقال:

- ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾: أي: في المستقبل، فإن (لا) تدخل على المضارع لتفيد معنى الاستقبال، كما أن (ما) تدخل على المضارع لتفيد معنى الحال، أي: لا أعبد في المستقبل ما تعبدون من الأصنام والشركاء وما تعتقدون من الشريك والصاحبة والولد في الحال.
- ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾: أي: ولا تعبدون في المستقبل ما أعبد في الحال، وهو الله تعالى وحده لا مثيل له ولا ند، وليس له شريك ولا صاحبة ولا ولد، ولا يتقرب إليه بالشفعاء. وبالجملة فبين ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ و﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ فارق عظيم، وبون شاسع، فالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد له الأسماء الحسنى والصفات العلى والكمال المطلق متنزه عما وصفتم به معبوداتكم.

فرسمت هاتان الآيتان موقف كلا الطرفين في العبادة، بصورة جلية واضحة لا مجال للشك والانتقاض معها، ولا مجال للتراجع عنها حالا ومستقبلًا، مستصحبًا البلاغة اللغوية في القوة التعبيرية التي راعت التشكيل الصوتي للألفاظ ﴿أَعۡبُدُ﴾ ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ ﴿عَٰبِدُونَ﴾ مع التكرار

للنفي ﴿لَآ﴾، ولا يخفى أن ذلك من طرائق العرب في كلامهم وبرغم ذلك عجزوا عن الرد أو الإتيان بمثل هذا النسق البديع، ولم يقف عند هذا الحد من الإعجاز بل استمر التأكيد على هذه الحقائق بنفس التناغم الصوتي والنظم اللفظي على نحو غاية في الدقة والجمال في قوله:

- ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ أي: ولا أنا عابد في الحال أو في الماضي -حيث لم يثبت أن النبي ﷺ توجه لمعبوداتهم بأي شكل من أشكال العبادة فيما مضى قبل النبوة-، ما عبدتم فيما سلف من الزمان -حيث إنهم اتبعوا دين آبائهم وأجدادهم تقليدًا لهم واستمرارًا على ما كانوا عليه-.
- ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾: أي: ولن تعبدوا في أي وقت ما أنا عابده في الحال، فنفت هاتان الآيتان وقوع العبادة من النبي ﷺ على وجه الشرك، كما نفت وقوع العبادة منهم لله تعالى فيما مضى وكذلك في الحال على وجه يعتبر به شرعًا.

وعليه تكون الآيات الأربع نافية ومبرئة للنبي ﷺ من الشرك في الماضي والحال والاستقبال، كما نفت وقوع العبادة من الكفار لله تعالى في الماضي والحال والاستقبال.

ويجوز أن تكون الجملتان تأكيدين للجملتين السابقتين على طريقة أبلغ وأدق، فتكون: الآيتان (2-3) للدلالة على الاختلاف في المعبود الذي يعبد، فالنبي ﷺ يعبد الله، وهم يعبدون الأوثان، والآيتان (4-5) للدلالة على الاختلاف في العبادة نفسها، فعبادة النبي ﷺ عبادة خالصة لله لا يشوبها شرك ولا غفلة عن المعبود، وعبادتهم كلها شرك، فلا يلتقيان بحال من الأحوال.

ولما كان هذا ما عليه حال النبي ﷺ وحال الكافرين، جاء الجواب الحازم الذي لا سبيل معه للمهادنة ولا مجال معه لاستمالة أحدهما إلى طرف الآخر، فقال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

- ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾: وهو الشرك الذي أنتم عليه دوما وأبدا.
- ﴿ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾: وهو التوحيد أو الإسلام الذي أنا عليه أصالةً، فليس فيه إذن في الكفر، ولا منع عن الجهاد، وعليه فالآية محكمة لا نسخ فيها، ويكون المعنى: إنما بعثت إليكم

لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني، ولم تتبعوني فلا جدوى من دعوتكم لي إلى معتقدكم وشرككم، كوني ثابتا عليه فيما مضى من أمري وفي الحال وفي المستقبل. وفي هذا قطع لمطمعهم من استمالة النبي ﷺ إلى شركهم(56).

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات السورة والإعجاز البياني والبلاغي، وهداياتها، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لآيات السورة

لما كانت سورة الكافرون من حيث الوحدة الموضوعية والمقصد الأساسي تتحدث عن البراءة من الكفر وأهله، والولاء لله تعالى وحده لا شريك له، تجلى التناسق بين آياتها على النحو الآتي:

أولًا: جاءت السورة مبتدأة بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:1]، على وجه الأمر للنبي ﷺ، وأن هذا الخطاب مأمور به من رب العالمين، حيث أمره بأن يوجه خطابًا صريحًا وخاصًا بمن ثبت أنه باقٍ على كفره في علم الله تعالى، فقال: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ وهذا نص ببراءته ﷺ من الكفر، وثباتهم عليه أصالةً، بعبارة موجزة بليغة، لما في وصفهم بالكفر من التحقير لهم والتشنيع لفعلهم، والتأييد ببراءة نبيه ﷺ، والإيذان بعدم الخشية منهم، إذ ناداهم ﷺ بما يكرهون.

ثانيًا: نفى عن نفسه ﷺ الشرك، ونفى عن المشركين عبادتهم لله تعالى في الحال: إذ لما تبين من خطابهم بلفظ الكفر بطلان معتقدهم كان لا بد من البدء بمخاطبتهم على وجه التصريح ببراءته ﷺ مما هم عليه من الشرك وحسم المقام والمقال؛ لأنها الأهم فقال: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ ﴾ الآن، وجاء الفعل بصيغة المضارع إيحاءً بدوام عبادة النبي ﷺ وطاعته لله تعالى، ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ فعبر عن معبوداتهم بلفظ ﴿مَا﴾ كونها لا تعقل، وتحقيرًا لكل ما عبد من دون الله، وأتى بالجملة الفعلية ﴿ تَعۡبُدُونَ ﴾؛ للدلالة على ديمومة عبادتهم لها واستمرارهم على ذلك، فلم يقع منهم عبادة خالصة لله تعالى قط .

فنفى عبادته ﷺ حالًا ومستقبلًا لمعبوداتهم الحالية، سواء في السر أم في العلن، كونها لا تصلح للعبادة، كما عبر القرآن بـ﴿ لَآ ﴾ بدلًا عن (ما) لما فيها من البشارة بتثبيت الله تعالى له ﷺ على الصراط المستقيم، وحفظه ﷺ من أن يظفروا به.

وأتبع ذلك ببيان حقيقة عبادة الكفار، حيث كانوا يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، في قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ [الكافرون:3]، فنفى عبادتهم لله تعالى بنفي اسم الفاعل ﴿عَٰبِدُونَ ﴾، الذي هو حقيقة لهم في الحال، فجاءت الجملة الاسمية دالة على ثبات الكفار على عبادتهم، فنفى عنهم العبادة المعتد بها، إذ لا تصلح لأن تكون وصفًا ثابتًا لهم.

ولما كان الالتباس مأمونًا إذ لا نزاع بينهم في أن الله الخالق العالم، صح إطلاق التعبير بـ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَآ أَعۡبُدُ ﴾، على الله تعالى، ولكونه أقرب إلى الإنصاف والبعد عن المراء، فأنتم لن تعبدوه في الحال؛ لأن الله تعالى الذي له تمام العلم بحالكم وكمال القدرة، أبعدكم عن الإيمان به، فلا مطمع في الوفاق بيننا.

ثالثًا: نفى عن نفسه ﷺ الشرك في العبادة قبل النبوة وفي المستقبل

فلما كان المشركون غير مقتصرين في عبادتهم على الأصنام، فلم يكن لهم معبود معين، -وهذا من أشد ما يعاب عليهم-، واعتبارهم سكوت النبي ﷺ عن ذلك قبل النبوة عبادةً منه، مع عدم اشتمال ما نفي عن النبي ﷺ في أول الآيات على الماضي قبل النبوة، إضافةً لما عُرف من حاله ﷺ من عدم مشاركته ﷺ للمشركين في شركهم بوجه من الوجوه ولا في وقت من الأوقات، بما يدل على براءته ﷺ ودوام استهانته ﷺ بمعبوداتهم الباطلة، قال منبهًا على ذلك كله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ متصف بعبادة، ﴿ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ فيما سلف، فجاءت جملة ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ اسمية منفية؛ وهي آكد في بيان حال النبي ﷺ حيث عبر عن ذاته الشريفة بالضمير الظاهر ﴿ أَنَا۠ ﴾ لما يفيده ضمير المتكلم من الحضور القوي والثقة بالنفس في مواجهة الخصم، فنفى وقوع الشرك منه ﷺ فيما مضى وكونه غير قابل للوقوع في المستقبل، وعدم إمكانية ذلك شرعًا، كما جيء بالفعل بصيغة الماضي ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ للدلالة على رسوخهم في عبادة الأوثان فيما مضى، والإيحاء بتنزه النبي ﷺ من الشرك فيما مضى، وفيما يستقبل، إذ لم يصح وصفه ﷺ بالشرك في العبادة قبل النبوة إلى وقتهم هذا، فكيف يرجى منه ﷺ ذلك حالًا ومستقبلًا وهو ﷺ لم يفعله قط.

رابعًا: نفي عبادة الكفار لله تعالى في المستقبل، واستمراره ﷺ على عبادة الله على وجه التأكيد:

فربما توهم أحدهم أن نفي عبادة الكفار - المقصودين بالخطاب- لله تعالى إنما هو في الحال، فعقبه بقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ أي: عبادة هي وصف لكم معتد به في الحال أو الاستقبال، تأكيدًا للجملة السابقة جريًا على عادة العرب في التأكيد، وقطعًا لآمالهم منه ﷺ على أتم وجه.

ولما لم يكن معروفًا قبل البعثة بعبادته لله تعالى، عبر بما لا مجال معه للإنكار، فأتى بالفعل بصيغة المضارع الدالة على الحال أو الاستقبال وبما هو ظاهر من حاله: ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي وجدت مني عبادته واتصفت بها الآن وفي ماضي الزمان ومستقبله اتصافًا يُعتد به.

خامسًا: حسم قضية الإيمان والشرك:

حيث اهتمت الآيات السابقة بإظهار براءة النبي ﷺ من الكفر والشرك، وتقرر استمرار الكفار على شركهم حتى الممات، وتجلت النتيجة الحاسمة: اختصاص الكفار بدينهم ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الذي تعلمون أنه لا أصل له، ولا دليل عليه، ولن ترجعوا عنه بحال، ولا أشارككم فيه بوجه، واختصاص النبي ﷺ بدينه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الذي هو الإسلام، والهدى والفرقان، لا تشاركونني فيه بوجه، ولا تملكون ردي عنه، لحفظ الله تعالى لي.

وبذلك تكون هذه السورة بجملها وتراكيبها التي اتسمت بالقوة والحسم والفوقية معبرة عن موقف النبي ﷺ من الكفار، وارتسمت من خلاله منهجية التعامل مع الكافرين، بما خطه الله تعالى لنبيه ﷺ ولأمته من بعده، حتى قيام الساعة.

كما تجلت صور الاتساق في الآتي:

1- تعد هذه السورة من دلائل النبوة بما تضمنته من الإخبار عن الغيبيات المستقبلة من تثبيت الله له ﷺ، واستمرار الكفار على كفرهم حتى مماتهم، وتمام هذا الدين.

2- أن من آمن بعد ذلك ليس مرادًا بالخطاب في السورة.

3- الوحدة الموضوعية واتساق المعنى واتفاقه بين أول السورة وآخرها: باختصاص كلّ فريق بعبادته.

4- أن ما أفاده الاختصاص لا دلالة فيه على الإذن في الكفر، ولا المنع عن الجهاد، ليحتاج إلى النسخ، فقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ محكمة لا نسخ فيها[57].

المطلب الثاني: الإعجاز البياني والبلاغي

فمن أعظم الدلائل في السورة: إعجازها وجمعها للمعاني في إشاراتها وإيجازها في قطع رجاء الكفار من استمالة الرسول ﷺ إلى معبوداتهم الباطلة.

ومما تضمنته السورة من الصور البيانية والبلاغية المتناسقة ما يأتي:

1- طباق السلب، بذكر النفي ثم الإثبات، كما في قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون: 2-5].

2- المقابلة بين الجملتين: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون: 2-3]، مقابلة في الحال والاستقبال، ثم المقابلة بين الجملتين: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون: 4-5]، مقابلة في الحال والماضي.

3- أسلوب التكرار باعتباره وجهًا من وجوه الاختصار المعجز؛ ذلك أن قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: 3و5]، نفى عن النبي ﷺ الشرك في الماضي والحال والاستقبال، وكذلك نفى عن الكفار عبادتهم لله تعالى في تلك الأزمنة، فاقتضى تكرار اللفظة ست مرات من غير إخلال بالنظم القرآني[58].

4- الإعجاز البياني البلاغي في (استخدام اسم الفاعل الواقع موقع الحال، من حيث كونه صالحا لجميع الأزمنة، فتارة دل على الحال ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ ﴾، وعلى الماضي على مذهب الكوفيين، وتارة دل على المستقبل ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ ﴾)[59].

5- أسلوب الحصر في قوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾، بتقديم الخبر الذي حقه التأخير؛ من باب تخصيص كل من الطرفين المذكورين في السورة، وقصر كل منهما على عبادته من غير تشارك،

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من الدلالة البليغة القاطعة لكل أمل في استجابة النبي ﷺ لمطالب الكافرين الداعية إلى الشرك[60].

6- فواصل القرآن: توافق الفواصل في الحرف الأخير: في قوله: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[61]. وكذلك حذف ياء قوله: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾؛ موافقة لفواصل الآي، إضافة إلى ما دلت عليه من اقتصاره ﷺ على دين الإسلام وعدم تجاوزه ﷺ إلى غيره.

ومن تأمل لفظ ﴿دِينِ﴾ بعد حذف الياء، يلاحظ أنها أفادت إطلاق قيد اللفظ بالمتكلم لتشمل غيره في حال الوقف[62]، ولعل في هذا إشارة إلى كون هذا الدين ليس من عنده ﷺ بل تنزيل من رب العالمين، إذ لما كان الخبر عن الكفار قال: ﴿دِينُكُمْ﴾، كونه مبتدعا، وما أنزل الله به من سلطان، وإنما سماه دينًا لكونهم اعتبروه دينا، ولما كان الخبر عن النبي ﷺ قال: ﴿دِينِ﴾، فهو منزل من لدن حكيم خبير، كما أن تنكير لفظ ﴿دِينِ﴾ يفيد العموم فهو دين لعموم الثقلين وليس مختصًا بالنبي ﷺ وحده، فالكل مأمور به كما هو مأمور به، فهو آخر الأديان السماوية والناسخ لجميع ما سبقه، ولا تعارض بين القصر السابق، وتضمن معنى العموم؛ إذ الأمة مأمورة بما أمر به النبي ﷺ من التوحيد الخالص والاقتصار عليه دون غيره، كونه الحق المنزل من رب العباد، -والله أعلم-.

ومما لا شك فيه أن فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، إذ مقصدها البيان والإفهام ومراعاة مقتضى الحال وإحكام المعنى ثم التناسب الصوتي للإيقاع اللفظي بلا تكلف[63].

المطلب الثالث: هدايات السورة

جاءت سورة الكافرون على إيجازها غاية في الإعجاز والبيان والبلاغة، بما تضمنته من هدايات وإرشادات حاسمة ما بين الإيمان والشرك، نوجز منها ما تيسر لنا الوصول إليه:

أولا: الهدايات الجزئية العلمية:

1- دلالة الخطاب في أول السورة بلفظ ﴿قُلْ﴾ على العلو والفوقية، فالقرآن وحي رباني منزل من عند الله تعالى، وليس من عند النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3-4].

2- افتتاح السورة بلفظ ﴿ قُلۡ﴾ بالأمر بالقول والمبادرة به، فيه دلالة على العناية بأمر التوحيد الذي هو أساس الدين، ووجوب إعلانه للناس بصورة واضحة وحجة قاطعة، فالأمر هنا أمر بالإعلان وأمر بالإيمان، فالصدع بالدين من أعظم القربات.

3- تفيد شرف النبي ﷺ بتوجيه الخطاب له في السورة، فهو خير الخلق وأكرمهم مكانة وأعظمهم منزلة، وأفصح من يفهم التنزيل، والأمين على التبليغ، ودل على كونه ﷺ نبيا مرسلا بالتبليغ، وهذا يقتضي تعظيم شأن النبي ﷺ غاية التعظيم والاعتناء بشأنه.

4- تفيد أن الخطاب للنبي ﷺ أولًا ثم لأمته من بعده، لتسير على هديه ﷺ، كونها مأمورة بالاقتداء به ﷺ والسير على نهجه، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21].

5- تفيد أن الخطاب شامل لكل ولي أمر أو حاكم أو خليفة ألا يتنازل عن مبادئ الإسلام وأركانه وحدوده؛ استمالة لأعداء الإسلام بخفض الجناح لهم.

6- تفيد ذم الكافرين المخصوصين الذين نزلت بسببهم السورة، فمع عموم لفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ إلا أنه من باب ذكر الكل وإرادة البعض، لقرينة سبب النزول.

7- تفيد ذم الكافرين وهوانهم كون الله تعالى لا يكلمهم ولا يتوجه لهم بخطاب مباشر، بل أمر نبيه ﷺ بأن يوجه لهم الخطاب، فخطاب الله عز وجل مع عباده بلا واسطة يقتضي التشريف(64).

8- كما يفيد تخصيص سبب نزول السورة بفئة مخصصة من الكافرين، مع عموم لفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، الدلالة على أن سبب النزول من الخاص المراد به العموم، ذلك أن الأمة مأمورة بما أمر به النبي ﷺ في كل زمان ومكان، فالأمر بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك من واجبات الدين، قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: 104].

9- تفيد أن الكافرين كانوا مقرين بوجود الله تعالى، وأنه الخالق الرازق، كما أخبر عنهم في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [القمان: 25]، والعبد يحتمل من مولاه ما لا يحتمل من غيره، فلو قال: (يا أيها الكافرون) ابتداءً لجوزوا أن يكون الكلام منه ﷺ، ولما تحملوه، فلما قرن بلفظ (قل) علموا أن هذا التغليظ إنما هو من الله تعالى[65].

10- تفيد عموم رسالة الإسلام ووجوب دعوة الناس كافة، فعدم تخصيص الخطاب بزمان دل على وجوب دعوة الكافرين إلى التوحيد في كل زمان ومكان.

11- أن لفظ ﴿الْكَافِرُونَ﴾ بما دل عليه من معنى الجحود وكفران النعمة وما اقتضاه من مضمون يفيد أنهم منعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى ثم جحدوها، (هو شامل لكل أنواع الكفر والنفاق والشرك بالله تعالى، كونها تشترك في صلب الاعتقاد المنحرف عن أصل التوحيد)[66].

12- كما يفيد وصفهم بالكفر على شناعة صنيعهم وبطلان معتقداتهم جملةً وتفصيلًا، على وجه المبالغة، إذ هي صفة ذمٍّ عند جميع الخلق سواء كان مطلقًا أم مقيدًا[67].

13- كما تفيد ضلال من سلك طريق الكفار والمشركين في معتقداتهم الباطلة واتخاذ الشركاء والوسطاء، ممن لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: 13-14].

14- أن الخطاب في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾، عام لكل من سبق في علم الله تعالى أنه سيموت على الكفر سواء في زمن النبي ﷺ أو بعده إلى قيام الساعة[68].

15- يفيد أن أساليب الخطاب تتنوع من اللين إلى الشدة ومن الرفق إلى الغلظة، بحسب أحوال المخاطبين، لكن لما ثبت في السورة جحود المدعوين وتكبرهم وعنادهم كان الخطاب بالشدة والغلظة يُعد المسلك الأمثل، فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾.

16- يفيد أن إغلاظ القول من ذوي القربى يكون أشد وأصعب من الغير، فلعل إغلاظ القول من النبي ﷺ لهم وهم قومه وأهله يكون داعيًا لإعادة النظر في أمر عبادتهم والإقرار ببطلان ما هم عليه(69).

17- كما يفيد الأمر بإغلاظ القول مع الكافرين وإظهار الشدة، التنبيه على أن النبي ﷺ كان طبعه غاية في الرحمة والشفقة على المدعوين(70).

18- يفيد الافتتاح بقوله:﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: 2]، على شجاعة النبي ﷺ وإعلانه ﷺ لحقيقة معتقده بكل صراحة على الملأ، ومتاركة عبادة الكفار وشركهم، وعدم الخوف منهم ، فالله تعالى تكفل بحمايته ﷺ.

19- تفيد هيبة النبي ﷺ بقوة الحضور وبلاغة التصريح، فألجمت ألسنة الكفار عن الرد والإجابة(71).

20- تفيد المبالغة في الإنكار، ذلك أن الانكار باللسان مستلزم للإنكار بالقلب والجوارح، فغاية الإنكار ما اجتمع فيه انكار القلب واللسان والجوارح(72).

21- رسمت السورة للدعاة الطريق للدعوة على بصيرة، بإعلان الحق والشجاعة وألا يخافوا في الله لومة لائم، فالنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعدًا غير مكذوب.

22- تفيد أن القرآن الكريم دائمًا يبدأ بمعالجة الأهم فالمهم، ومن أهم القضايا التي عالجها القرآن، قضية التوحيد الخالص من الشرك، فالنبي ﷺ قضى ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك.

23- تفيد حرص الإسلام على دعوة الناس بمختلف الأساليب بغية تصحيح المعتقدات الباطلة والأفكار الخاطئة ومن أهمها لغة الحوار بالحجة والبرهان.

24- تدل الآيات على المفارقة العظيمة بين المعبود الحق وهو الله تعالى الواحد الأحد الذي لا مثيل له ولا ند، المتصف بصفات الكمال والمنزه عن الشريك والصاحبة والولد، وبين ما سواه من المعبودات الباطلة من الأصنام والأحجار والشفعاء وما زعموه من الصاحبة والولد فعبدوها من دون الله تعالى، والتي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا فضلًا عن أن تملكه لغيرها(73).

25- تفيد ضرورة الثبات على الحق مهما بلغت شوكة الأعداء وقوتهم وكثرتهم.

26- تفيد أن الكفار والمشركين والمنافقين على اختلاف معتقداتهم وكثرتهم، واجتماعهم على الكيد للإسلام والمسلمين، لا يشكلون تهديدًا حقيقيًا للنبي ﷺ ولا لأمته الثابتين على دين الإسلام؛ كون هؤلاء الكفار متزعزعين عقديًا وفكريًا ونفسيًا، يتنازلون عن مبادئهم ومعتقداتهم لأغراض دنيوية.

27- تفيد التأكيد على طبيعة النبي ﷺ في التعامل مع الكفار بالصراحة والثبات مع الاتصاف بالصدق في البيان.

28- كما تفيد بيان طبيعة الكفار المراوغة، وهشاشة إيمانهم بمعتقداتهم الزائفة، لدرجة التنازل والتزلف عن مبادئهم، برغم ما يظهرونه من الاستكبار والتعالي، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: 14].

29- التدرج في الخطاب الذي تمثل في الانتقال من الضمير المستتر إلى الضمير الظاهر في قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: 2]، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الكافرون: 4][74]، وما فيه من لفت الانتباه إلى حقيقة الاعتقاد التي تبناها النبي ﷺ وأعلنها أمام المشركين في قوة وثبات.

30- تصف الحضور الكامل والثبات الراسخ للنبي ﷺ أمام الملأ من كفار قريش في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الكافرون: 4]، وما ينبغي أن يكون عليه حال الداعية إلى الحق في كل زمان ومكان.

31- حُسن استعمال بنية الكلمة وتوظيفها للوصول إلى الاستدلال المقصود: فنجد اللفظ القرآني نفى عن النبي ﷺ الشرك بصيغتين: الأولى بجملة فعلية ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ للدلالة على ديمومة عبادته ﷺ لله تعالى وحده والتبرؤ من الشرك فعليًا، والثانية بجملة اسمية ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ للدلالة على استمراره ﷺ على ما يفعله ويعتقده قبل النبوة وحالًا ومستقبلًا، وبالفعلين: المضارع ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ والماضي ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، في حين نفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين بالجملة الاسمية ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: 3و5] الدالة على

استمرار المخاطبين على حالهم وشأنهم من الإشراك حتى مماتهم. وبالفعل المضارع ذاته المقترن بـ﴿مَّا﴾ الدال على ديمومة فعلهم في الحال والمستقبل.

32- أن تعدد صيغ لفظ العبادة فيه دلالة واضحة بينة على براءة النبي ﷺ من الشرك في جميع أحواله وأوقاته، فالنفي عنه أقوى وأدوم من النفي عنهم[75].

33- تفيد تقرير مفهوم العبادة الخالصة من شوائب الكفر والشرك والنفاق؛ لورود لفظ العبادة فيها مكررًا بصيغ متعددة (الماضي (عبدتم) والمضارع (أعبد) واسم الفاعل (عابد)، فالنبي ﷺ كان متعبدًا لله تعالى قبل النبوة وبعدها لم يخالط الشرك بأي حال.

34- تدل السورة على الاختلاف البين في مفهوم العبادة بين المؤمنين والكافرين، ذلك أن مفهوم العبادة في الإسلام ينبني على التوحيد والإخلاص والمتابعة للكتاب والسنة، ومفهوم العبادة عند الكفار قائم على اتباع الآباء والأجداد، واتخاذ الشركاء والوسطاء، وزعم أنها تقربهم إلى الله زلفى، وادعائهم الصاحبة والولد، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

35- ظاهرة التكرار اللفظي في السورة تعد من أعظم صور الإعجاز البلاغي لفظًا ومعنىً، لما يفيد التكرار من معنى التأكيد، وما يحققه من التماسك النصي للوحدة الموضوعية في ترابط محكم[76].

36- أن السورة جاءت مقررة ومؤكدة على إزالة الشرك العملي الإرادي واقتلاعه، إذ لا يقبل من الدين إلا ما كان خالصًا، قال ابن القيم رحمه الله: "لما كان الشرك العملي الإرادي أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها، وكثيرٌ منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه، لما لها فيه من نيل الأغراض، وإزالته وقلعه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلمي وإزالته،... جاء التأكيد والتكرير في سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1]، المتضمنة لإزالة الشرك العملي، ما لم يجيء مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]"[77].

37- أن التكرار يفيد التأكيد، وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد، حسن التكرار، ولا موضع أحسن من هذا الموضع الذي أكد فيه تقرير العبادة الخالصة والبراءة من الكفر وأهله[78].

38- تعد هذه السورة كاشفة لبواطن الكافرين المخصوصين بالخطاب، في ذلك الزمن خاصة، وفي كل زمان لاحق إلى قيام الساعة(79)، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: 32].

39- - الرؤية الشاملة للحقائق في خطاب النبي ﷺ، والإدراك العميق لما يعتقده من الإيمان، وما تقرر من حقائق الطرف الآخر ومعتقدهم، دلالة واضحة على كونه ﷺ نبيا مرسلا من رب العالمين مكلفا بالتبليغ بقوله: ﴿قُلْ﴾(80).

40- يتجلى الإعجاز البياني في هذه السورة بوضوح في استعمال الضمائر المتعددة سواء المستتر ﴿أَعْبُدُ﴾ أم الظاهر كضمير المتكلم ﴿أَنَا۠﴾، وضمير المخاطب ﴿أَنتُمْ﴾، لترسم للقارئ مواقف كلا الطرفين وتبين توجههم في العبادة، فالكلام المحكي على لسان الرسول ﷺ وإن كان مأمورًا بتبليغه، فإنه يعبر في ذات الوقت عن موقف النبي ﷺ من هذه القضية، فضلًا عن كونه جاء بصيغة المتكلم، وثقته ﷺ بخطابه. كما تجلت في إخباره ﷺ بحقيقة واقعهم على وجه الاستدامة ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وهنا تكمن قمة التحدي للكفار في الدفقة التعبيرية القوية للتشكيل الصوتي للألفاظ(81).

41- تفيد جواز التعبير بـ(ما) وإرادة الله تعالى بها في قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ ، لأنه لا مجال للالتباس، ولا خلاف، فالكفار مُقِرّون بربوبية الله تعالى، وكمال قدرته وإبداع خلقه، ولما في ذلك من اتساق نظم الكلام، كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40](82).

42- لا حجة للجبرية(83) في قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، فالآية نفي لحقيقة العبادة الباطلة المستندة على الشرك، كونهم اختاروا الشرك وعبادة الأوثان مع علمهم بالخالق تبارك وتعالى ونعمه الظاهرة، وآثروا تقليد الآباء والأجداد، وكما أخبر سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾ [البلد:8-10]، ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف:22]، كما أنها إثبات للعبادة الخالصة المأمور بها.

43- التناظر اللفظي البديع في قوله: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿عَٰبِدُونَ﴾، فجاء كلاهما بصيغة اسم الفاعل حيث وصفهم بالكفر على جه الثبات، ونفى عنهم عبادة الله تعالى المعتد بها شرعًا أيضًا على وجه الثبات(84).

44- الإعجاز في الإيجاز الذي أجمل في الآية الأخيرة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ ففيها معانٍ ودلالات تختزل كل كلام، وتقطع على المخاطب كل جدال أو مراجعة، فجوامع الكلم في هذا الإيجاز الذي يكتفي فيه بألفاظ قليلة لكن سليمة من كل حذف؛ لبلوغ أشمل المعاني وأبعدها تصورًا في الخواطر والأذهان، بحيث لا يبقى لأحد بعد إطلاقها الأمل في إحراز أقل منها لفظًا ولا أكثر منها معنىً، فهي حقائق عليا في شكلها ومضمونها"(85).

45- من دلالات قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾: ما أفاده قصر المسند على المسند إليه وهو قصر إفراد إذ لا مجال للشراكة في المعبود(86)، دل عليه معنى الآية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي هو عبادة الأصنام مقصور عليكم، لا يتجاوزه إليّ، فلا تعلقوا آمالكم على ذلك فإنه محال، فديني الإسلام مقصور عليّ لا يتجاوز إليكم؛ فالله تعالى ختم على قلوبكم وسبق في علمه كفركم، دلّ عليه تخصيص الخطاب بالكافرين الذين طلبوا من النبي ﷺ التشارك في المعبود وعدم مجاوزته لغيرهم ممن دخل في الإسلام عند نزول السورة.

46- أن أسلوب القصر في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾، بتقديم ما حقه التأخير، فيه دلالة على غاية التبرؤ من الشرك وأهله(87).

47- في تقديم الخبر في قوله: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾، إشعار بالمسؤولية تجاه نشر الإسلام وتبليغه، وانتماء حقيقي للإسلام واعتزاز بالدين الصحيح(88).

48- أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ محكمة لا نسخ فيها، إذ ليس فيها تقرير لهم على دينهم(89)، فلا إذن فيها بالكفر ولا منع من الجهاد، وإنما هي نظير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس:41](90).

49- تفيد التهديد الشديد للكفار لإعراضهم عن الحق، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام:135]، وقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: 121-122].

50- كما تفيد التنصيص على تبرؤ النبي ﷺ من دين الكفار بالكلية، وقطع كل مطمع لهم في استمالته ﷺ لدينهم.

51- تفيد لزوم إعلان متاركة الكفار على دينهم عند استمرارهم على الباطل واستكبارهم عن الحق، من غير إقرار لهم ولا تقرير لمعتقدهم، في أي زمان ومكان؛ كون المسألة تدور حول أعظم قضية وهي العقيدة والتوحيد الخالص من الشرك، فلا تحتمل السكوت أو التراخي، أو التلميح.

52- تقرر أن كل إنسان محاسب على عمله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم:38-39]، فالرسول ﷺ مأمور بالوحي مكلف بتبليغه، والكفار مأمورون بالامتثال والقبول، فإصرارهم وكفرهم لا يرجع عليه ﷺ بضرر ألبته، كونه ﷺ أدى ما كلف به[91].

53- أن السورة حسمت قضية الإيمان والشرك، ذلك أن الإيمان ولاء كامل تام صريح لله تعالى ولرسوله ﷺ ولدينه، وتبرؤ تام صريح من الكفر والشرك، وأهله، ولا التقاء بينهما بوجه من الوجوه، لاختلاف المعبود واختلاف العبادة، فموضوع السورة يدور حول مفهوم العبادة المعتد بها شرعًا وهي الخالصة من شوائب الشرك، وبراثن الضلال والزيف[92].

54- تفيد أن الإسلام دين الحرية، فلا إكراه في الدين، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: 256]، مع الإقرار بضلال من اعتقد بغيره.

55- تفيد السورة الرد على دعاة التعايش السلمي بتقرير كل ضال على مذهبه والرضا بمبادئه، ذلك أن السورة جاءت آمرة بالجهر والإعلان للدين والدعوة إلى التوحيد الخالص، والتبرؤ من الكفر وإعلان بطلانه وزيفه.

56- تفيد النهي عن مهادنة الكفار والتنازل عن الدين ومبادئه على سبيل التزلف، في أي زمان ومكان.

57- تفيد شرف علم التوحيد ومكانته، والعلوم تشرف بشرف المعلوم تبارك وتعالى عن الأنداد والشركاء.

58- تفيد أن التوحيد هو بداية الأعمال وخاتمتها، حيث بدأ القرآن في سورة الفاتحة بذكر طلب الهداية إلى الطريق المستقيم، وختمها بإخلاص التوحيد والتبرؤ من الكفر وأهله.

59- تفيد تقرير توحيد الربوبية، فجميع الناس مقرون بربوبية الله تعالى، فهم يحتاجون للتوجه إلى الخالق الرازق القادر لقضاء حوائجهم، ورفع الضر عنهم، بمن فيهم كفار قريش الذين نزلت في شأنهم السورة، إلا أنهم ضلوا في باب توحيد الألوهية فأشركوا مع الله تعالى غيره.

60- تقرر السورة أن التوجه إلى الله تعالى بالطلب والدعاء وقضاء الحاجات ورفع الضر يكون مباشرة ولا يحتاج إلى الشفعاء والوسطاء، كما اعتقد الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: 60]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: 186].

61- عدم جواز التمثل بآيات القرآن في الكلام الدارج على ألسنة الناس، من باب السخرية والاستهزاء[93]، ومن ذلك التمثل بقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ عند المتاركة والاختلاف؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة: 65].

ثانيًا: الهدايات العملية

- الاعتقاد الجازم بوحدانية الله تعالى، فلا شريك له ولا نظير.
- اللجوء إلى الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر، فهو سبحانه النافع الضار، وترك الاستعانة بالمخلوقات التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن التقرب إليها زلفى وإشراكها في العبادة مع الله تعالى.

- إفراد الله تعالى بالعبادة، واعتقاد ضلال المشركين والكفار في معتقداتهم واتخاذهم الشركاء.
- الولاء لله تعالى ولدينه اعتقادًا وقولًا وعملًا، والتبرؤ من الكفر وأهله اعتقادًا وقولًا وعملًا.
- الثبات على التوحيد والإخلاص، وعدم التنازل عن المعتقدات والمبادئ الصحيحة في أي زمان ومكان.
- الشجاعة في مواجهة الباطل، والرد بالحجة، والوضوح في الدعوة.
- التعامل مع الكفار والمشركين وفق ما شرعه الله تعالى بالقسط والعدل من غير مهادنة ولا تزلف، ولا تقرير لهم على معتقداتهم الباطلة.
- توظيف الفصاحة والبلاغة في الخطاب الدعوي ليكون أبلغ في إقامة الحجة وأوجز في البيان من غير إسهاب مخل، ولا تكرار ممل.
- الحرص في الدعوة على البدء بالأهم فالمهم، ومن أهم القضايا قضية الدعوة إلى التوحيد والعبادة الخالصة من الشرك والنفاق والكفر.
- الحرص على كثرة قراءتها اقتداءً بالنبي ﷺ خاصة في السنن التي شرعت فيها: (في ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب والوتر وركعتي الطواف وعند المنام؛ كونها مقررة للتوحيد وبراءة من الشرك)، وتدبرها والعمل بمقتضاها.

وبالجملة فالسورة دالة على التبرؤ من الكفر وأهله، من غير تقرير لهم على عبادتهم الباطلة ولا إقرار لهم بها على سبيل المهادنة والتزلف، مع عدم إغفال حقوق أهل الذمة والمستأمنين غير المحاربين ممن لهم حقوق على المسلمين بموجب العهد والذمة، وعليهم واجبات يؤدونها بلا إخلال، إذ ينبغي التعامل معهم بأخلاق الدين ومبادئه استمالة لهم للدخول فيه.

النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج

توصلت الباحثة إلى نتائج، من أبرزها:

1- قررت السورة مبدأ البراءة من الشرك وأهله، وتوحيد الله تعالى بالعبادة، فلخصت عقيدة الولاء لله تعالى ولدينه، والبراء من الكفر وأهله، بالنص الصريح بعيدًا عن المهادنة والتذبذب في الدين بعبارة موجزة بليغة، في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

2- جمعت سورة الكافرون جملة من الهدايات العقدية والبيانية، بما يكفل لمتدبرها الفصل بين الإيمان والشرك فصلًا حاسمًا والعمل بمقتضاها.

3- اشتملت هذه السورة على قصرها صورًا من الإعجاز الغيبي والإعجاز البياني البلاغي.

4- التناسق اللفظي والموضوعي بين آيات السورة ومضمونها وبين أولها وآخرها، ممثلة القول الفصل في قضية الإيمان والشرك بما لا يدع مجالًا للخصم في الرد أو المراجعة، أو الأمل في المهادنة على سبيل الدين الحق.

5- إحكام السورة فلا نسخ فيها، كونها لا تقر الكافرين على دينهم، بل تعلن وبوضوح البراءة من الكفر وأهله وتقرر ذلك من مطلع السورة إلى منتهاها.

ثانيًا: التوصيات

أن على المسلمين جميعًا حكامًا ومحكومين أن يستنبطوا من هذه السورة الثبات على الصراط المستقيم، والعض عليه بالنواجذ، وعدم التنازل عن قيمه وأوامره بأي شكل من الأشكال، وتحت أي دعوى من دعاوى الأعداء والمنافقين.

هذا ما توصلتُ إليه، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من زلل فمن نفسي ومن الشيطان.

الهوامش والإحالات:

(1) حسن لغيره، أخرجه: الترمذي سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت: حديث رقم (2895)، وحسنه. وضعفه: الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي: 326. لكن بالتتبع لأحاديث فضائل سورة الكافرون وكونها تعدل ربع القرآن وتعدد الطرق فيها فإن ذلك مما يرتقي بالحديث إلى الحسن لغيره.

(2) صحيح، أخرجه: الترمذي، سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت: حديث رقم (2895)، وقال: غريب لا نعرفه إلا عن يمان بن المغيرة. وقال الألباني: صحيح دون إذا زلزلت، الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي: 394/6.

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 323/32. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 527/20.

(4) صحيح، أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر: حديث رقم (726).

(5) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر: 263/3.

(6) صحيح، أخرجه: النسائي، سنن النسائي: 244/3، كتاب قيام الليل، باب نوع آخر من القراءة في الوتر، حديث رقم (1729). صححه: الألباني، صحيح سنن النسائي: 555/1، حديث رقم (1729).

[7] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد: 369/1.

[8] صحيح، أخرجه: الترمذي، سنن الترمذي، باب الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر والقراءة فيهما:حديث رقم (417)، وقال: حديث غريب. ابن ماجه: سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر:حديث رقم (1149)، واللفظ له. صححه: الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: 339/1.

[9] صحيح، أخرجه: الترمذي سنن الترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء فيما يقرأ في ركعتي الطواف:حديث رقم (869). وأخرجه: مسلم ،صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ:حديث رقم (1218).

[10] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 323/32.

[11] حسن، أخرجه: ابن حنبل،المسند: حديث رقم (23807). وحسنه الألباني، ينظر: الألباني،صحيح الجامع الصغير: 115/1.

[12] ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي: 246/9، حديث رقم (3403).

[13] سبق تخريجه في حاشية (11).

[14] ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 528/20. الثعلبي، الكشف والبيان: 315/10.

[15] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 579/30.

[16] ينظر: نفسه: 808/4.

[17] ينظر: نفسه: 532/5.

[18] ينظر: نفسه: 90، حيث قال: ولي دين قل في الكافرين تحصّلا.

[19] ينظر: نفسه: 178/6.

[20] ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير: 437/30.

[21] ينظر: البقاعي، مصاعد النظر: 262/3.

[22] مأخوذة من تقَشْقَشَت القروح إذا تقشرت للبراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 336/6.

[23] ينظر: السمعاني، تفسير السمعاني: 303/6. الرازي، مفاتيح الغيب: 323/22. الزمخشري، الكشاف: 808/4. الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز: 548/1.

[24] ينظر: البقاعي، مصاعد النظر: 263/3.

[25] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 323/22. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 527/20.

[26] ينظر: القشيري، لطائف الإشارات: 777/3. السخاوي، جمال القراء: 94. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 196/1. الألوسي، روح المعاني: 484/15.

[27] ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز: 548/1. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 579.

[28] ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 527/20.

[29] نفسه، والصفحة نفسها، ولم أقف على سبب هذه التسمية فيما وقفت عليه من الكتب.

(30) الرازي، مفاتيح الغيب: 323/22.

(31) ينظر: الواحدي، أسباب النزول: 467. السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول: 218. وضعفه، ابن حجر ،فتح الباري: 733/8.

(32) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 139/1. السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: 40/4. الزرقاني، مناهل العرفان: 198/1.

(33) ينظر: السيوطي، الدر المنثور: 654/8.

(34) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 579/30.

(35) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 437/30.

(36) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 580/30.

(37) ينظر: الحديد، سبب نزول سورة الكافرون، تم استرجاعه بتاريخ: 2019/6/13م، متاح على الرابط الآتي: https://cutt.us/70rnG

(38) ينظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور: 145. الزحيلي، التفسير المنير: 437/30.

(39) ينظر: البقاعي، نظم الدرر: 300/22.

(40) ينظر: الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن: 380-383.

(41) ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز: 303/4.

(42) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: 190/5.

(43) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 441/30.

(44) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 580/30.

(45) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: 190/5.

(46) الشوكاني، فتح القدير: 59/1.

(47) الألوسي، روح المعاني: 486/15.

(48) النحاس، إعراب القرآن: 190/5.

(49) ينظر: صولة، الحجاج في القرآن الكريم: 117. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 581/30.

(50) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 440/30.

(51) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 581/30.

(52) ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 619/5.

(53) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 440/30.

(54) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: 190/5.

(55) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 507.

(56) ينظر: الزمخشري، الكشاف: 804/4-810. البيضاوي، أنوار التنزيل: 343/5. وهبة الزحيلي، التفسير المنير: 440/30، 441. آغا وخضر، تبادل الضمائر: 83-86.

(57) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 304/22-309. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 580/30-584. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 507/8، 508.

(58) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 304/22-309. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 580/30-584.

(59) الكرماني، أسرار التكرار: 256.

(60) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 558/10-561. الهاشمي، جواهر البلاغة: 136.

(61) ينظر: السامرائي، التعبير القرآني: 29.

(62) ينظر: العرابلي، الياء المفردة الزائدة من الأسماء، تم استرجاعه بتاريخ 13 نوفمبر2021م متاح على الرابط الآتي: https://cutt.us/vqChW

(63) ينظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن: 98.

(64) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 324/32.

(65) ينظر: نفسه: 323/32.

(66) الزحيلي، التفسير المنير: 444/30.

(67) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 329.

(68) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 507/8.

(69) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 324/32.

(70) ينظر: نفسه: 32/ 329.

(71) ينظر: نفسه: 325/32.

(72) ينظر: نفسه: 325/32.

(73) ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 255/30، 256.

(74) ينظر: آغا وخضر، تبادل الضمائر في سورة الكافرون: 86.

(75) ينظر: السامرائي ، التعبير القرآني: 30،29.

(76) ينظر: آغا وخضر، تبادل الضمائر في سورة الكافرون: 88.

(77) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد: 370/1، 371.

(78) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 32/ 331.

(79) ينظر: آغا وخضر، تبادل الضمائر في سورة الكافرون: 86.

(80) ينظر: نفسه: 88.

(81) ينظر: العزاوي، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: 122.

(82) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 331/32.

(83) ينظر: نفسه: 331/32. والجبرية هم القائلون: بنفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، وأن الإنسان مسير وليس مخير، ولا قدرة له على اختيار أعماله، فهي منسوبة إليه مجازًا، فهو كالريشة في مهب الريح. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: 85/1.

(84) ينظر: السامرائي، التعبير القرآني: 29.

(85) الجاحظ، البيان والتبيين: 28/1.

(86) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة: 136.

(87) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 558/10-561. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 141/1.

(88) ينظر: أحمد، قراءة بلاغية في سورة الكافرون، تم الاسترجاع بتاريخ 10نوفمبر2021م متاح على الرابط الآتي: https://www.alukah.net/sharia/0/36565

(89) ينظر: ابن الجوزي، نواسخ القرآن: 509. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 141/1.

(90) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 508/8.

(91) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 333/32.

(92) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 444/30.

(93) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: 387/1. وللعلماء في هذا الباب خلاف لا مجال لعرضه هنا.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.

1) آغا، آلاء طارق، وخضر، عائشة خضر، تبادل الضمائر في سورة الكافرون -دراسة تحليلية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، وكلية التربية للبنات، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، مج17، ع4، 2010م.

2) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1408هـ-1988م.

3) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ 1997م.

4) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ- 1997م.

5) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ-1997م.

6) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

7) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408هـ-1987م.

8) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1404هـ-1984م.

9) البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن محمد، أنوار التنزيل وأسار التأويل، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

10) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عوض، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ- 1975م.

11) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ- 2002م.

12) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار مصعب، بيروت، ط1، 1968م.

13) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن أبي الحسن، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد أشرف الملباري، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ- 1984م.

14) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.

15) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420هـ.

16) الرّماني، علي بن عيسى بن علي، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، مصر، دار المعارف، مصر، 1976م.

17) الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط1، 1411هـ-1991م.

18) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ط3، 1362هـ-1943م.

19) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ط1، 1376هـ- 1957م.

20) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

21) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، د.ط، 1988م.

22) السمعاني، منصور بن محمد بن عبدالجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ-1997م.

23) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1394هـ- 1974م.

24) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1432هـ-2011م.

25) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م.

26) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020م.

27) الشاطبي، أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع - متن الشاطبية، تحقيق: محمد تميم الزعبي، البحرين، مكتبة الهدى، إسطنبول، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، إسطنبول، ط4، 1426هـ-2005م.

28) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1414هـ.

29) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د.ط، 1387هـ-1968م.

30) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، دار المعرفة للنشر، تونس، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م.

31) ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.

32) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984هـ.

33) العزاوي، سمير إبراهيم وحيد، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، دار الضياء، عمان، ط1، 1421هـ-2000م.

34) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379هـ.

35) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

36) علم الدين السخاوي، علي بن محمد بن عبدالصمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.

37) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، د.ط، 1410هـ- 1990م.

38) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3. 1420هـ.

39) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1416هـ-1996م.

40) القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك، لطائف الإشارات - تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 2000م.

41) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: محمد الإصلاحي وآخرين، دار عطاءات العلم، بيروت، دار ابن حزم، الرياض، ط3، 1440هـ-2019م.

42) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

43) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.

44) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 1998م.

45) المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن، تحفة الحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2018م.

46) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ط1، 1365هـ-1946م.

47) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تعليق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

48) النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، المجتبى من السنن - السنن الصغرى، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ- 1986م.

49) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، 1999م.

50) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ- 1992م.

51) أحمد، جمال عبدالعزيز، قراءة بلاغية في سورة الكافرون، تم الاسترجاع بتاريخ: 10 نوفمبر 2021م، متاح على الرابط الآتي: https://www.alukah.net/sharia/0/36565/

52) الحديد، رحمة، سبب نزول سورة الكافرون، تم الاسترجاع بتاريخ: 1 نوفمبر2021م، متاح على الرابط الآتي:

https://cutt.us/70rnG

53) العرابلي، عبدالمجيد، الياء المفردة الزائدة من الأسماء، تم الاسترجاع بتاريخ 13 نوفمبر 2021م، متاح على الرابط الآتي: https://cutt.us/vqChW